«التعامل» معه. ذلك ان الدراسة الشمولية لا يمكن ان تختزل في صفحات، وانما تحتاج الى توسّع في المعلومات والاحصائيات والمراجع، وهو ما لا سبيل اليه في هذا النوع من الدراسات.

٢ ـ يتّصف الصراع العربي ـ الاسرائيلي، في أغلب مراحله، بتساير حديثين معاً: أحدهما عن احتمالات الحرب، وثانيهما عن احتمالات السلام. ففي حين كتابة هذه الدراسة، تنشط عملية التفاوض لتسوية الصراع العربي ـ الاسرائيلي واقامة السلام في منطقة الشرق الاوسط. وفي الوقت نفسه، صرح رئيس الاركان الاسرائيلي بتاريخ ١٩٩٢/١٠/٨، أي في المدة بين الجولتين السادسة والسابعة من المفاوضات الثنائية، فقال، ان خطر نشوب حرب مع سوريا، حالياً، «محدود جداً»، ولكن قد «تتغيّر الامور اذا وصلت عملية السلام الى طريق مسدود»[١]. وفي الوقت نفسه، أيضاً، تمارس اسرائيل العنف المسلّح في فلسطين المحتلة، فيقتل جيشها بالرصاص حَمَلة الحجارة من الفلسطينيين في الانتفاضة.

٣ ـ خلافاً لمعظم موازين القوى في الصراعات المعروفة في العالم المعاصر، يحيط الغموض بميزان القوى للصراع العربي ـ الاسرائيلي، حتى ان الباحث لا يستطيع، أحياناً، ان يغامر بالجزم واليقين في شأن مقولة تقع في المنطقة الرمادية من الثبوت والنفي، ولا يقبل فكره النقدي الاستقصائي ان يضعها خارج منطقة الشك، في حين ان المقولة ذات تأثير حازم وحاسم إنْ هي أصبحت يقيناً، وذات تأثير حازم وحاسم، أيضاً، ومختلف كل الاختلاف عن التأثير الاول إنْ هي غدت نفياً. وتفسير ذلك ان الميزان العسكري العربي ـ الاسرائيلي مُعرّض، دائماً، بكفتيه، لمتغيّرات ومستجدات وعوامل طارئة تغيّر موزونات كل كفة تغييراً يتراوح بين شَوْل احدى الكفتين حيناً، ثم رجوحها حيناً آخر. وسنرى ان هذه الصفة تلازم حالة الميزان العربي ـ الاسرائيلي ملازمة تكاد تكون دائمة.

٤ ـ نظراً الى تباين الاسباب وتعرّض مكونات كفتي ميزان القوى العربي ـ الاسرائيلي لمتغيّرات ومستجدات وعوامل طارئة بصورة دائمة، فان عناصر الاستقصاء والاستقراء والسبر ستكون غالبة على عناصر منهجية الدراسة الاخرى. وتبدو هذه الغلبة أسلوباً في العمل الفكري قد يقود صاحبه الى حافة الغلط أو الغلط نفسه. وعزاء الباحث، آنذاك، انه اجتهد فأخطأ فنال أجراً واحداً، في حين انه كان يسعى الى ان يصيب فينال أجرين.

٥ ـ لقد احتسبنا مكوّنات ميزان القوى على أساس ان الصراع العربي ـ الاسرائيلي هو من ذلك النوع الذي يصنّف بأنه «صراع صِفْري». وفي هذا النوع من الصراع، يحتسب كل مكسب او تطوّر ايجابي عربي خسارة لاسرائيل، والعكس صحيح. ان كل مهاجر يهودي جديد يأتي الى اسرائيل لا يعني، فقط، زيادة عدد سكان اسرائيل، وانما يعني، أيضاً، زيادة الطاقة القتالية الاسرائيلية بمقدار قوة انسان واحد، وضياع متر مربع من الارض العربية. ان أي (+ ١) للطرف العربي يعني، حكماً (– ١) للطرف الاسرائيلي. ولا بدّ من الاشارة، هنا، الى ان هذا النوع من الصراع ـ النوع الصِفْري ـ يصبح غير صِفْري إذا ما استطاع مؤتمر السلام أن يغيّر طبيعة الصراع العربي ـ الاسرائيلي، بالاستجابة للمطالب العربية وتحقيق الحقوق العربية.

٦ ـ اذا كان ميزان القوى الاستراتيجي العربي ـ الاسرائيلي في حالته التي كان عليها في اثر حرب الخليج (١٩٩٠ ـ ١٩٩١) وانهيار القوة العسكرية العراقية وتشقق الصف العربي، كامناً في الخلفية التي استند اليها مؤتمر السلام الذي انطلق من مدريد بتاريخ ١٩٩١/١٠/٣٠، فان هذا الميزان نفسه سيكون القطب الذي ستتراكم عليه نتائج مؤتمر السلام ـ كيفما كانت تلك